جامعة عين شمس
كليــة الآداب
قسم الآثـار
شعبة الآثار
اليونانية والرومانية

العناصر المعمارية والفنية وعلاقتهما بطقوس الخدمة اليومية للكنيسة المصرية فى العصر البيزنطى

"دراسة حضارية - أثرية"

رسالة لنيل درجة الماجستير من قسم الآثار
شعبة الآثار اليونانية والرومانية
كلية الآداب ـ جامعة عين شمس

مقدمة من الباحث
إبراهيم محمد حسن غريب

تحت إشراف

الأستاذ الدكتور / مصطفى محمد قنديل زايد
أستاذ الآثار اليونانية والرومانية
كلية الآداب – جامعة عين شمس

الدكتورة / نجلاء محمود عزت
مدرس الحضارة اليونانية والرومانية القديمة
كلية الآداب – جامعة عين شمس

القاهرة
2013

ملخص

الهدف من هذه الدراسة هو إلقاء الضوء على جزء حضارى لم يتم التركيز علية من قبل؛ فكل الدراسات السابقة سواء كانت دينية أو أثرية لم تطرق إلى هذا الموضوع وهو علاقة طقوس الخدمة اليومية بالملامح المعمارية والفنية للكنيسة المصرية – المقصود بالكنيسة هنا ليس المبنى الكنسى فقط ولكن المعنى المعنوى فكنيسة تعنى جماعة المؤمنين أى أن"أى تجمع للصلاة أو تنفيذ طقوس محددة تعنى كنيسة" – ومتابعة الطقس الدينى والذى عرف بالخدمة اليومية – الخدمة اليومية هو كل ما ينفذة الخادم "الكاهن" كل على حسب رتبته من صلوات وطقوس وأسرار – بكل متغيراته وتأثيراته المادية والروحانية والاجتماعية فى نوعية العناصر المعمارية والفنية التى تتعامل مع الطقس والمكملة له داخل مكان التعبد سواء فى الكنيسة أو الدير أو مبنى خاص أو قلاية ، ومن خلال العنوان يتضح لنا أن الدراسة سوف تحاول الكشف عن العلاقة التى حدثت بين الطقوس المصرية القبطية وبين العناصر المعمارية والفنية للكنيسة المصرية خلال العصر البيزنطى أى قبل وبعد مجمع خلقدونية 451 م، الذى انفصلت فيه الكنيسة المصرية عن الكنيسة البيزنطية، ونظرًا لعدم اعتراف الكنيسة المصرية بقوانين هذا المجمع، واحتفاظها بأراء أباء الكنيسة في مجمع نيقية 325م، وقانون الإيمان النيقى الذى تمسك به كيرلس فى مجمع إفسوس الاول 431 م، حيث رفض أن تكون هناك طبيعتين للمسيح، يدل هذا على صرامة المذهب المصرى الذى لا يقبل التغيير أو التجديد حيث طبيعة المسيح الواحده وفكره اللاهوتى و قوانينه التى

حرص على أن تكون طقوسة و صلاوته نابعه من هذا الفكر الدينى ومن طبيعة مجتمه وثقافته.[1]

تهدف الدراسة إلى البحث عن العلاقة بين العناصر المعمارية والفنية داخل المبنى الكنسى فى مصر من خلال الاحتياج الطقسى المقنن من قبل المذهب المصرى.

من ذلك جاء عنوان الفصل الأول **المصادر الكنسية والمجمعية فى تحديد قوانين الخدمة اليومية**، وفى هذه الجزئية تحديدًا يتحدث البحث عن ظهور المسيحية وانتشرها فى ظل ظروف قاسية من قبل الاباطرة الرومان حيث لاقت الاضطهاد بجميع أشكالة ولكن سرعان ما تغير الأمر عندما اعترف الأمبراطور قنسطنطين الاول 306–337 م بالمسيحية، تفرغ الآباء المسيحيين لمشاكلهم بعدما حلت المشاكل الخارجية لهم، وتعددت الآراء والأفكار تارة متأثرة بالفلسفة اليونانية وتارة أخرى متاثرة بالفكر المصرى مما أدى إلى تشتت المسيحيين و ظهور آراء وأفكار تتعارض مع الكنيسة وذلك أدى إلى ظهور المجامع المسكونية التي يتم فيها عرض الافكار والتصويت عليها من قبل أساقفة الكنسية وكان الدور المصرى مؤثر جدًا في هذه المجامع ففي مجمع نيقيا (325م)[2]، كان الصراع على أشدة بين أريوس وأتباعة وبين كنيسة الإسكندرية صاحبته الفكر اللاهوتى ومن أبنائها أثناسيوس، الذي واجهة أريوس بشراسة وحاول أن يقيم قانون إيمانى يجمع عليه كل المسيحيين ومن يخالف هذا القانون كان يحكم عليه مثل أريوس

[1] - إدوارد جيبون ، اضمحلال الإمبراطورية الرومانية و سقوطها ، جـ2، ترجمة محمد سليم سالم ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة 1997 ، ص ص 333- 347 .

[2] - Socrates, The Ecclesiastical History,pp 58-60

الذي اعتبر هرطوقى ومنشق عن الكنيسة وخارج عنها، ومن ثم أخذت الكنيسة المصرية منهج أثناسيوس الذي اعترف بألوهية المسيح واتحاده مع الأب في نفس الجوهر فيم أطلق عليه "الهوموسيه"، ومع مرور الوقت ظهرت على الساحة المسيحية شخص يدعى "نسطور" والذي نادى بطبيعتين للمسيح و هذا يخالف منهج الطبيعة الواحده والتى آمنت بها الكنيسة المصرية فتصدى له "كرليس" وهو أحد أبناء كنيسة الإسكندرية وكان هذا في مجمع إفسوس الاول 431 م، ولا تعترف الكنيسة المصرية بقرارات المجامع لتى تخالف مذهبها مثل قوانين مجمع خلقدونية 451 م، مما يدل على قوة هذه الكنيسة وتمسكها الشديد بمذهبها، هذا الفصل يتناول الفكر المسيحى المصرى الارثوذكسى، من خلال القوانين التى حددت إتجاهات هذا الفكر الذي أثر بشكل مباشر على تنفيذ طقوس الخدمة اليومية والجدير بالذكر أنه تم إلقاء الضوء على القوانين الخاصة بتحديد قوانين للخدمة اليومية والتي تعتبر المصدر الأول لكل القوانين، أما باقى القوانين فقد نقلت من لغاتها الأصلية (اليونانية – اللاتينية) وجمعت في ملحق بالرسالة وذلك نظرًا لأهميتها لأى دارس أو مهتم بالتاريخ الكنسي.

أما الفصل الثاني فجاء بعنوان **دراسة أصول الطقوس الخدمة اليومية في الكنيسة المصرية**، الطقس هو طريقة ترتيب وإقامة الصلوات والخدمات في الإحتفالات الدينية واليومية أما المعنى اللغوى فترجع في إشتقاقها إلى الكلمة اليونانية Ταξις ومعنها ترتيب أو نظام[1]، وفي هذه الجزئية نهدف إلى التعرف على نشأة الطقوس وتأصيلها في الخمسة قرون المسيحية الاولى، فمن حيث نشأة

[1] -رشدي واصف ، طقوس الكنيسة الأرثوذكسية،دار الطباعة القومية ، القاهرة 1999، ص13

الطقس هناك ثلاثة طرق من خلالها نتعرف على أصل الطقس ومنها (المصادر الشفوية– المصادر المكتوبة – المصادر الأثرية) هذا عن كيفية المعرفة أما عن أصل الطقس فريجع إلى (التأثيرات التوراتية – التأثيرات الهللينيستية– التأثيرات المصرية القديمة– الممارسات الغنوسية–الموروث الشعبى)، وقد تم التريبت السابق من حيث التأثير المباشر على الطقوس وليس الترتيب الزمنى، وعلى سبيل المثال توجد طقوس يومية وهي ممارسات تسمى بالخدمة اليومية مثل التسبحة ورفع البخور والقداس اليومى الذي يعد مجموعة من الطقوس داخل طقس واحد والافخارستيا أو المناولة والذي يعد من أهم الطقوس التى تمارس داخل الكنيسة القبطية وهناك طقوس دورية طقوس خاصة بالاسرار السبعة وتدشين الكنائس وتدشين الأيقونات وطقوس خاصة بالأنبياء والشهداء والقديسين لان كل كنائس وأديرة مصر بنيت على مقابر للشهداء وطقوس خاصة بالعذراء " الثيوتوكوس ".

الفصل الثالث عنوانه **دراسة ممارسة طقوس الخدمة اليومية في الكنيسة المصرية**، وفي هذا الفصل يتناول البحث بالتفصيل كيفية تنفيذ هذه الطقوس على المستوى الشفوى والمادى والروحانى وهذا الأخير الذي يعد أهمهم على الإطلاق لما له من علاقة مباشرة بين الكاهن والمتعبد العادى ومن هذا الجزء ننطلق إلى تطبيق الأثرى وهو الهدف الرئيسي للدراسة وهو تأثر العناصر المعمارية والفنية بهذه الطقوس الكنسية فمن الطبيعيى أن تستخدم أدوات خاصة في أماكن خاصة تلائم هذه الطقوس.

الفصل الرابع وعنوانه **العناصر المعمارية والفنية المستخدمة فى تدعيم الطقوس الكنسية**، وفيه ننظر للعمارة المسيحية المبكرة فى مصر والتي كانت

بدورها غير محددة المعالم حيث تعوقها أسباب وعوامل كثيرة، من أهمها تواضع الشكل والحجم والتصميم الهندسى والمعمارى المستخدم من قبل تلك الفئة التى كانت دون شك تعيش تحت ضغوط اجتماعية متعددة مثل الفقر والاحتلال الرومانى وغياب الوعى الدينى والاجتماعى، وقد يندرج ضمن تلك الأسباب أيضًا وبصورة واضحة غياب الأمور الطقسية وتحديدها بصورة موحدة وثابتة فى الفترة المبكرة، وهو أمر أساسى وراء عدم تحديد هيكل معمارى بمواصفات خاصة تمارس فيها العقيدة بحرية كاملة، ويظهر ذلك بوضوح في كنائس اسمنت الخراب وماحولها.

هذا فضلاً عن أنه إذا كانت هناك أمثلة معمارية كنسية أو دينية ورد ذكرها عند أغلب المؤرخين المسيحيين المبكرين، فإننا نجدها قد تغيرت تمامًا مع بداية القرن الثامن الميلادي، ولم تستطع تلك الأمثلة المعمارية أن تقاوم عوامل الزمن أو التوسع المسيحى المنشود فى تلك الفترة، فتم إزالتها وتعديلها، وبالتالي لا نستطيع أن نقف على أرض ثابتة فى تحديد هويتها المعمارية الدينية فى مصر خلال تلك الفترة المبكر 1، ولذلك فقد اهتمت الدراسة بالكنائس ودور العبادة التي لم تطلها يد التغيير أو على الأقل الكنائس التي حافظت بشطل كبير على الشكل المعمارى الأصيل لها، فعلى سبيل المثال كنائس صحراء مصري الغربية – أسمنت الخراب، دير أبو متى، عير السبيل" – وكنائس من أديرة مثل دير أبومينا أو الديرين الأبيض والأحمر وغيرها من الكنائس.

أما العناصر الفنية من المنطقي ان يكون هناك علاقة بين العناصر الفنية والمكونات المعمارية داخل الكنيسة المصرية، فلابد من وجود اماكن تخدم هذه

[1]- P., Grossmann, Christliche Architektur in Ägypten,, Brillen 2001,.7-17

الطقوس على سبيل المثال نجد من الأسرار المقدسة للكنيسة المصرية سر المعمودية لابد من وجود مكان خاص له ليتم في شعائر الطقس وحوض لعماد وسر الاعتراف وسر مسحة المرضى كل ذلك يحتاج إلى أماكن لإتمام الشعائر الطقسية، كما نجد الأدوات التى ينفذ عن طريقها تلك الطقوس سواء كانت هذه الأدوات كبيرة أو صغيره، مثل الكؤوس والمنجليات والمباخر وهكذا، وما بداخل الكنيسة من فنون وزخارف خشبية ويشمل كل ذلك الرموز الفنية والروحية على المقتنيات الفنية المختلفة .